



قمة: سمر محفوظ براج رسم: منى يقطان و هبة فرّان





حَزِنْتُ كَثِيرًا عِنْدَمَا عَلِمْتُ أَنَّ أُمِّي وَأَبِي مُسافِرَانِ لِمُدَّةِ عَشَرَةِ أَيَّامٍ،
معَ أَنَّنِي أُحِبُّ جَدًّا وَأَتَسَلّى مَعَهَا كَثِيرًا...

لَكِنَّنِي فَرِحْتُ عِنْدَمَا قَالَ لِي أَبِي وَهُوَ يَضْمُنِي:
”مَرْوَانُ، فِي غِيَابِنَا يُمْكِنُنَا أَنْ تَأْخُذَ مَا تُرِيدُ مِنْ دُكَانِ
الْعَمِّ فَرِيدِ فِي الْحَيِّ،
وَمِنْ دُكَانِ الْعَمِّ حَسَانُ فِي الْمَدْرَسَةِ.
سَادْفَعُ لَهُمَا عِنْدَمَا أَعُودُ.
لَكِنْ تَذَكَّرُ... أَكِيدُ، ضِمْنَ حُدُودٍ.“

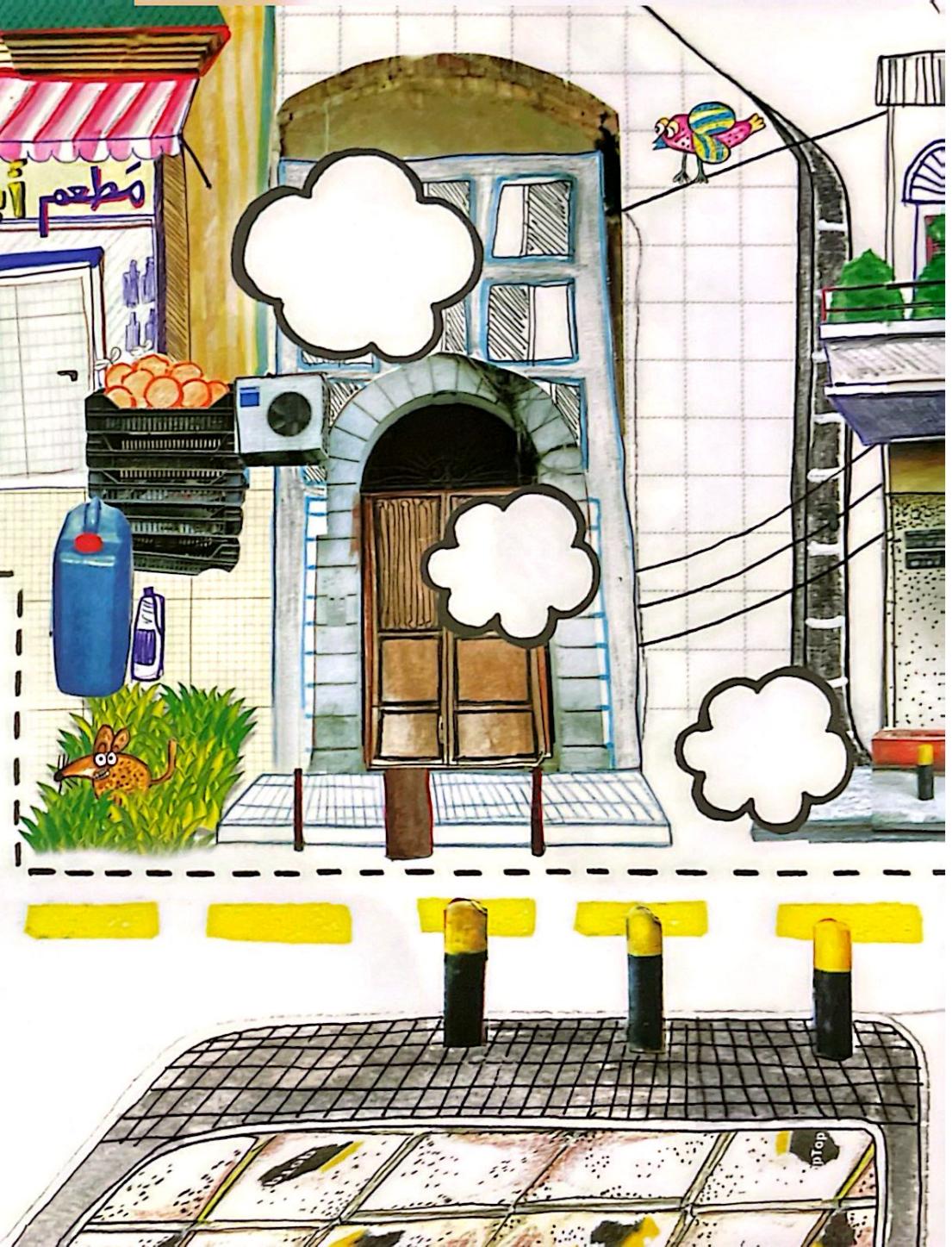




أَعْجَبَتِنِي الْفِكْرَةُ كَثِيرًا.

لَمْ أَفْهَمْ يَوْمَهَا مَا قَصَدَهُ أَبِي بِكَلِمَةٍ حُدُودٍ. رُبَّما لَا يُرِيدُنِي
أَنْ أَذْهَبَ إِلَى دُكَانٍ أَبْعَدَ مِنْ دُكَانِ الْعَمِ فَرِيدِ الْقَرِيبِ مِنَ
الْمَنْزِلِ. رُبَّما لَا يُرِيدُنِي أَنْ أَبْتَعِدَ عَنْ مَدْخَلِ الْمَدْرَسَةِ أَيْضًا.
فَكَرْتُ:

كُنْتُ سَافِرًا أَكْثَرَ لَوْ تَكَلَّمَ أَبِي أَيْضًا مَعَ الْعَمِ وَسِيمِ صَاحِبِ
مَحَلِ الْأَلْعَابِ وَمَعَ غَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِ الْمَحَلَّاتِ فِي الْحَيِّ.

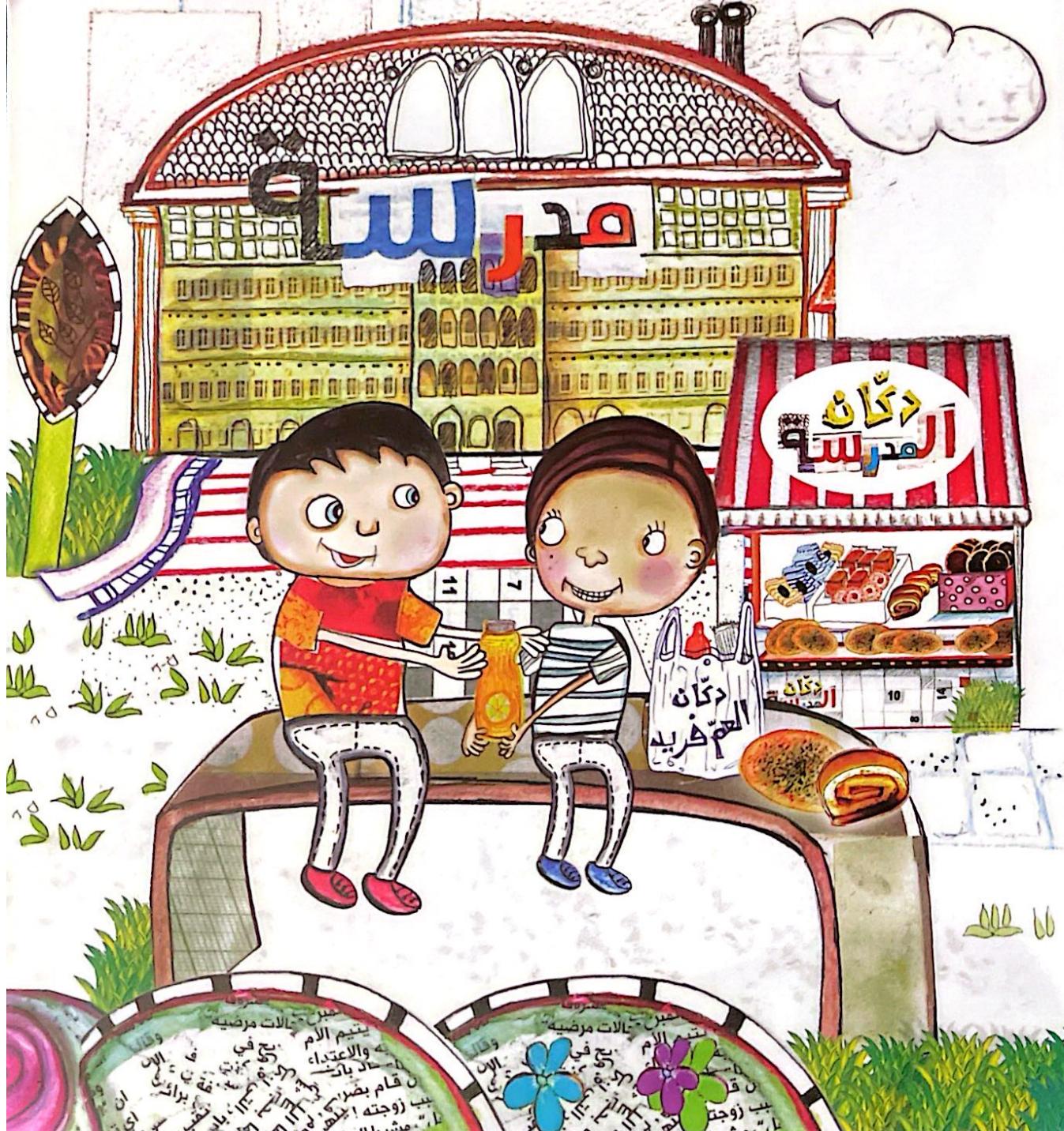




سَافَرَ والِدَاهُ.

فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي، أَخَذْتُ مِنْ عِنْدِ
الْعَمْ فَرِيدِ زُجَاجَةَ عَصِيرٍ وَلَوْحَ شُوكُولَاتَةٍ
وَعُلْبَةَ بَسْكُوِيْتٍ، وَمِنْ عِنْدِ الْعَمْ حَسَانِ
فِي الْمَدْرَسَةِ مَنْقُوشَةَ زَعْتَرٍ وَقِطْعَةَ
حَلْوَى بِالْمَرْبَبِيِّ.

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، نَسِيَ صَدِيقِي طَارِقَ أَنْ
يُخْضِرَ فَطُورَهُ مَعَهُ؛ فَشَارَكْتُهُ طَعَامِي
وَقَدَّمْتُ لَهُ الْعَصِيرَ عَلَى حِسَابِيِّ.





تَعَجَّبَ طَارِقٌ عِنْدَمَا لَمْ أُغْطِ الْمَالَ لِلْعَمِ حَسَانٌ.
أَخْبَرْتُهُ أَنَّنِي أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ أَيِّ شَيْءٍ دُونَ أَنْ أَدْفَعَ.
رَدَّ مُسْتَعْرِبًا: «أَنْتَ تَمْرَحُ!»

عِنْدَهَا طَلَبْتُ ثَلَاثَ قِطَعٍ حَلْوَى، أَخَذْتُهَا وَلَمْ أَدْفَعْ.
وَزَعْتُ الْحَلْوَى عَلَى الرَّفَاقِ فَفَرِحُوا كَثِيرًا.



في اليوم التالي، تَجَمَّعَ الرِّفَاقُ حَوْلِي في المَلْعِبِ.

كُلُّهُمْ يُرِيدُونَ الْحَلْوَى. لَا أُصَدِّقُ! حَتَّى رَنَا الْمَغْرُورَةُ اقْتَرَبَتْ مِنِّي وَتَحَدَّثَتْ مَعِي!

فَرِحْتُ وَقَدْمَتُ لِلْجَمِيعِ السَّكَاكِيرَ مِنَ الْكَيْسِ الْكَبِيرِ الَّذِي أَخْضَرْتُهُ صَبَاحًا مِنْ عِنْدِ الْعَمِ فَرِيد.

فِي الْفُرْصَةِ الثَّانِيَةِ قَدَّمْتُ لَهُمْ أَيْضًا الْعَصِيرَ، وَدُونَ أَنْ أَدْفَعَ.







صار اسْمِي "مَرْوَانُ الْكَرِيمُ الَّذِي لَا يَدْفَعُ"

وَلَا حَافِظَ عَلَى لَقْبِي الْجَدِيدِ، صِرْتُ أَسْجُلُ

طَلَبَاتِ الرِّفَاقِ وَأَحْضَرُهَا لَهُمْ، أَحْيَانًا مِنْ عِنْدِ

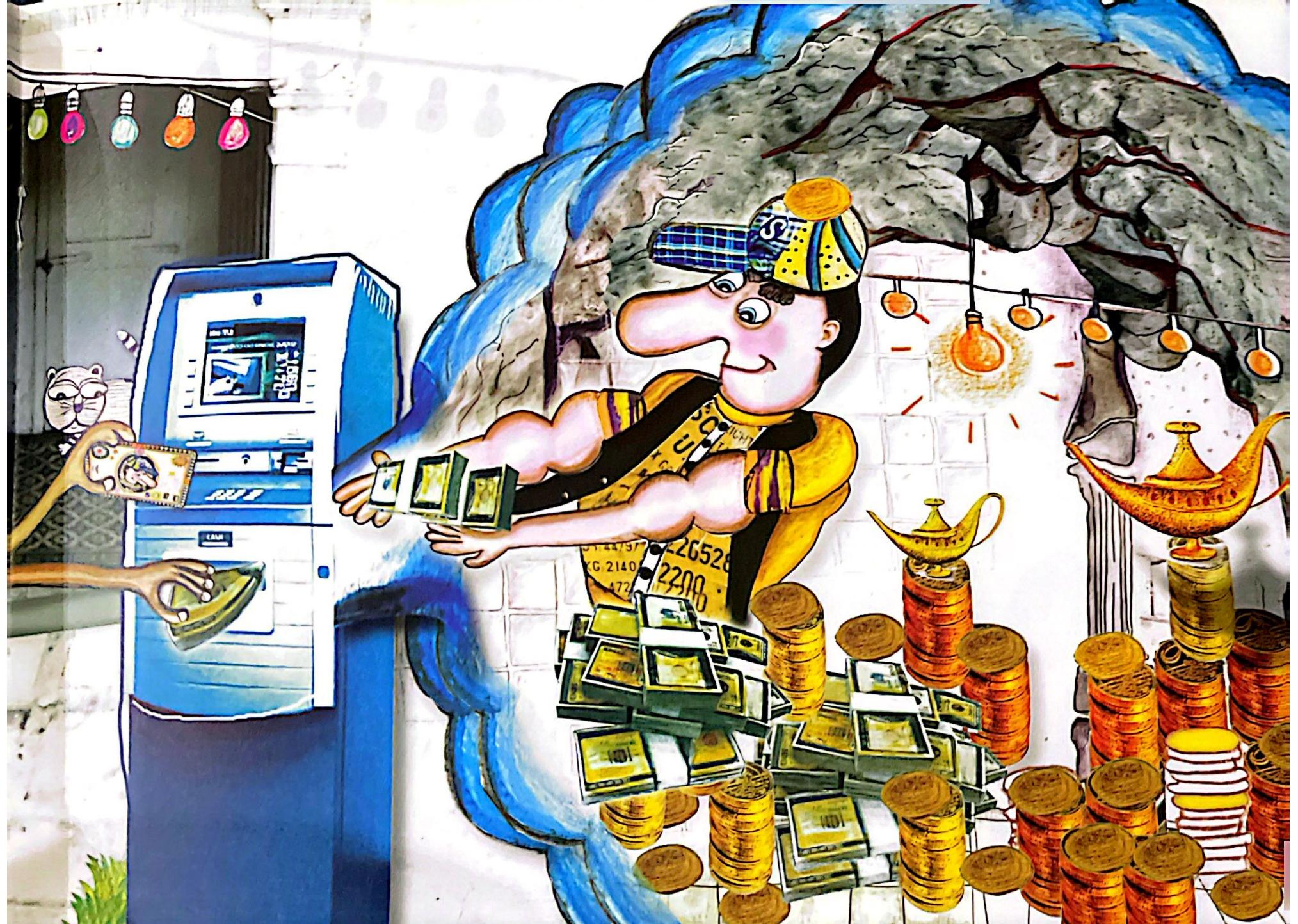
الْعَمَّ حَسَانٌ، وَأَحْيَانًا مِنْ عِنْدِ الْعَمَّ فَرِيدِ،

الَّذِي غَمَزَنِي مَرَّةً وَهُوَ يَقُولُ:

"مَرْوَانُ، أَنْتَ تَأْخُذُ الْكَثِيرَ مِنَ السَّكَاكِيرِ!"

لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهَا لِرِفَاقِ...

وَبِالْطَّبِيعِ... لَمْ أَكُنْ أَذْدَعُ!



أَبِي هُوَ الَّذِي سَيَدْفَعُ.
 أَكِيدُ! سَيَدْفَعُ أَيَّ مَبْلَغٍ!
 لِأَنَّهُ - وَأَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا سِرْ يَجِبُ أَنْ لَا أُخْبِرَ بِهِ أَحَدًا -
 لَدَنِيهِ بِطَاقَةٌ عَجِيْبَةٌ يَضَعُهَا فِي آلَةٍ فِي الشَّارِعِ وَيَحْصُلُ عَلَى
 الْمَالِ. رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ.
 قَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْآلَةُ مَرْبُوْطَةً بِعُرْقَةٍ كَبِيرَةٍ تُشْبِهُ مَغَارَةَ
 "عَلِيٌّ بَابَا"، فِيهَا الْكَثِيرُ مِنَ الْمَالِ.
 وَبَدَلًا مِنْ لَفْظِ جُمْلَةٍ "اُفْتَحْ يَا سِمْسِمْ"،
 يَطْبَعُ أَبِي جُمْلَةً سِرِّيَّةً، وَيَطْلُبُ كُلَّ مَا يُرِيدُهُ مِنْ... مِنْ...
 رُبَّمَا مِنْ... حَارِسِ الْعُرْقَةِ!



عادَ أَبِي وَأُمِّي مِنَ السَّفَرِ.

فَرِحْتُ كَثِيرًا بِعَودَتِهِمَا...

في صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي، أَعْطَانِي أَبِي مَصْرُوفِي الْيَوْمِيَّ گَالْعَادَةِ.







في المَسَاءِ، ناداني أَبِي... كَانَ يَنْدُو غَاضِبًا!
كَانَ مَعَهُ لَائِحَةً طَوِيلَةً،
وَفِي آخِرِ كُلِّ لَائِحَةٍ رَقْمٌ طَوِيلٌ وَصَعْبٌ.

تَأَلَّنِي: «هَلْ أَخَذْتَ كُلَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ؟!»
مُؤْكِلْ لَكَ ضِمنَ حُدُودٍ؟»

ذَهَا فَقَطْ...

ئُثْ ماذا قَصَدَ أَبِي بِكَلْمَةِ حُدُودٍ.





سَأَلَتُهُ: "بَابَا! لِمَاذَا أَنْتَ غَاضِبٌ؟
أَنْتَ لَدَيْكَ بِطاقةً عَجِيبَةً، وَاللَّهُ تُعْطِيكَ الْمَالَ كُلَّمَا تُرِيدُ."
رَدَّ مُسْتَغْرِبًا: "أَيُّ بِطاقةٍ عَجِيبَةٍ؟ وَأَيُّ اللَّهٌ؟"
عِنْدَهَا أَخْبَرَتُهُ بِمَا حَصَلَ مَعِي،
وَعَنِ السُّرِّ الَّذِي كُنْتُ أَعْرِفُهُ وَحْدِي.
ضَحِكَ كَثِيرًا كَثِيرًا...
دَمَعَتْ عَيْنَاهُ مِنْ شِدَّةِ الضَّحِكِ.



في اليوم التالي، أخذني أبي معه ودخلنا إلى مبني كبير.
هناك رأيته يعطي مالاً لسيدة. عندما خرجن قال لي أبي:
”هذا المكان يدعى ”المصرف“. أضع فيه المال الذي أحصل عليه من
عملي. هو يُشِّهِ حَصَالَةَ النُّقُودِ الَّتِي تَضَعُ فِيهَا أَنْتَ نُقُودَكَ.“

توقف أبي بالقرب من آلية على الرصيف.
أخرج بطاقة ”العجيبة“ وقال:
”أنا أدخل هذه البطاقة ورقمًا سريرًا في الآلة لأخذ ما أحتاجه من مال.
هي تعمل مثل المفتاح الذي تفتح فيه أنت حصالة نقودك.“
اسمها بطاقة ”آ.ت..مان.“

عندما فهمت لماذا ضحك أبي كثيراً.







بَعْدَ مُدَّةٍ قَرَّ أَبِي أَنْ يُعْطِينِي مَصْرُوفًا أُسْبُوعِيًّا
لِأَنِّي، كَمَا قَالَ، صِرْتُ أَكْبَرَ.
وَقَدَمَ لِي أَيْضًا حَصَالَةً نُقُودٍ جَدِيدَةً.



5



بَدَأْتُ أُوْفِرُ الْمَالَ لِشِرَاءِ دَرَاجَةٍ أَعْجَبَنِي.

رِبَّ فِي كُلِّ خَطٍّ أَنْفُسٌ وَعَوْنَوْنٌ وَرَاخِلُ الْمَرْبِعِ



أَمَّا أُمِّي وَأَبِي فَمَا زَالَا يُفْكِرُانِ بِطَرِيقَةٍ أَسَدَّ لَهُمَا فِيهَا
فَاتُورَةُ الْعَمِّ حَسَّانٌ وَفَاتُورَةُ الْعَمِّ فَرِيدٌ...